Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences Volume (9) Issue (5) 31May (2026)

ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي

تشييء المرأة في رواية منازل اللوعة لمحمود السامرائي

الباحثة م.م هجران جاسم محمد

جامعة واسط /كلية التربية الاساسية العزيزية /قسم اللغة العربية

The Reification of Women in Manazil Al-Lawaa by Mahmoud Al-Samarrai

Hijran J. Mohammed
Wasit university/ college of basic education/ department of Arabic language
Hajran.jassim@uowasit.edu.iq

الخلاصة :

التشييء هو عملية اجتماعية و ثقافية يتضمن نمطا من المعاملة يختزل فيه الفرد أو المجموعة إلى مرتبة شيء من الأشياء فتنفى عنه انسانيته و استقلاليته و فرديته و تسلب إرادته و يتم تحويله من ذات واعية فاعلة إلى شيء أو موضوع يمكن استخدامه أو استبداله بغيره, و يعد لوكاتش أول من تناول هذا المصطلح و عده ذا طابع وجودي, و يهدف البحث إلى دراسة تشييء المرأة في رواية منازل اللوعة للكاتب العراقي محمود السامرائي, و يتناول البحث شخصيات النساء في الرواية و تشييئهن عن طريق معاملتهن بوصفهن جسد أو وظيفة سردية و نزع الصوت عنهن فتتحول المرأة إلى أداة لحفظ الصورة الاجتماعية المقبولة, اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي فضلا عن التأويل لتحليل الرواية و الكشف مظاهر تشيؤ الشخصيات النسائية فيها, و اتضح ذلك عبر اختزال المرأة في الجسد و تغطيتها و جعلها صورة اجتماعية يحفظ عن طريقها الشرف و السمعة الطيبة, فضلا عن الصاقها بالصورة النمطية للمرأة و تحجيمها اجتماعيا .

الكلمات المفتاحية: التشيؤ, المرأة, منازل اللوعة, محمود السامرائي, الرواية.

Abstract :

Reification is a sociocultural process that contains a way of interaction that reduces a person or a group to the status of an object, negating their humanity, independence, and individuality and depriving them of their own free will, thereby the conscious and active subject is transformed into an object that can be used or replaced . georg lukacs was the first to conceptualize this term, considering it as an existential dimension . the study seeks the reification of women in the novel Manazil Al-Lawaa by Mahmoud Al-Samarrai,it investigates the female characters and the mechanisms in which they are objectified, whether through their portrayal as a mere bodies, or a narrative functions, or through the suppression of their voices, transforming them into ways of maintaining a socially accepted image . the research adopts a descriptive –analytical methodology in addition to interpretive analysis, to view the manifestations of female reification in the novel . the study found that women are reduced into a body, covered and constructed as embodiments of social honor and moral reputation, while being confined within stereotypical representations that restrict their societal roles.

Keywords: Reification, woman, Manazil Al-Lawaa, Mahmoud Al-Samarrai , novel.

المقدمة :

التشيؤ ظاهرة سادت المجتمعات الرأسمالية, إذ تحول الانسان إلى آلة للإنتاج تقاس قيمته بحجم ما ينتجه من منتجات, فصار التعامل معه على أنه شيء أو موضوع, و تم اهمال شخصيته الانسانية و الغي عنه تفرده فصار يعامل بوصفه سلعة يمكن بيعها أو شراءها أو استبدالها, و التشييء اما أن يقع على العامل فيتحول إلى أداة للإنتاج أو على المرأة فتعامل على أنها جسد فحسب و يتم استخدامها إما بكشفها و جعلها أداة للإثارة الجنسية أو تغطيتها و جعلها وسيلة لحفظ الصورة الاجتماعية و بذلك تسلب منها انسانيتها, و هناك دراسات تناولت تشييء المرأة و منها (تشييء المرأة في الرواية العربية رواية عزازيل ليوسف زيدان أنموذجا, ا.م.د سهام حسن جواد السامرائي, الجامعي, العدد ٣٥, ٢٠٢٢) فضلا عن دراسة تناولت (البناء الفني في رواية "منازل اللوعة" لمحمود السامرائي, أحمد قاسم مجيد, مجلة مداد الآداب, العدد ٣٨, ٢٠٢٤) و

غيرها من الدراسات, و تتناول الدراسة تشييء المرأة في رواية منازل اللوعة التي غاب فيها صوت الشخصيات النسائية و فقدت إرادتها و قدرتها على تقرير مصيرها فضلا عن تعرض هذه الشخصيات للعنف أو القتل غير المبرر بدعوى الحفاظ على الشرف كما سيأتي تفصيل ذلك, اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي فضلا عن التأويل للكشف عن مظاهر التشييء الذي تعرضت له المرأة في الرواية, و تبنى البحث عددا من الأسئلة و هذه الأسئلة هي :

كيف تم تشييء المرأة في الرواية؟

ما هي اشكال ذلك التشييء؟

ما أسباب تشييء المرأة؟

و قد تم تقسم الدراسة الى محاور تناولنا فيها التشييء و تعاريفه و من ثم التشييء في الرواية و من ثم بينا طرق تشييء المرأة في الرواية و كما سيأتي.

التشييء (Reification) :

التشيؤ هو أن يصير الانسان شيئا متمركزا حول الأشياء, غير قادر على تجاوز الجانب السطحي أو المادي و عالم الأشياء, فتصير الروابط بين البشر و العلاقات بينهم كالعلاقات بين الأشياء و تنتزع القداسة عن البشر و الطبيعة و تصير مادة واحدة استعمالية إثر السيطرة الامبريالية التامة عليه, و عندما يتشيأ الانسان فإنه يرى مجتمعه و تاريخه و نتاجاته الابداعية بوصفها قوى مفروضة عليه و خارجة عن سيطرته, و بذلك تتحول العلاقات الانسانية إلى أشياء خارجة عن تحكم الانسان فيصير الانسان بذلك مفعولا به لا فاعلا يحصل ما يحصل له من دون فاعلية من قبله . (ينظر :المسيري و التريكي, ٢٠٠٣: ٣٤٥)

و يرى فروم أن الانسان يموت روحيا عندما يصير شيئا و ان كان يعد حيا فيزيولوجيا, و بذلك يكون خاضعا للتآكل و يصير خطيرا على نفسه و الآخرين على حد سواء (ينظر: فروم, ٢٠١٣: ٢٤-٢٥), و يعد الفيلسوف جورج لوكاتش أول من استعمل مفهوم التشيؤ، إذ تكلم عنه في كتابه المعروف "التاريخ و الوعي الطبقي" و عرّفه بأنه اتخاذ العلاقات بين الاشخاص طابعا شيئيا (ينظر : دواخة, ٢٠٢٣: ٤٦), و يرى لوكاتش أن التشيؤ هو عملية معرفية ذات طابع أنطولوجي وجودي نستكشف عن طريقها الموجود الذي لا يمتلك صفات الأشياء, كالإنسان مثلا, بوصفه احد الأشياء, و بذلك فالنظر إلى الموضوع من الجانب الكمي و معاملة الآخرين بوصفهم ادوات و عد القدرات و الحاجات محض أشياء يمكن الإفادة منها اقتصاديا, كلها تقع ضمن مفهوم التشيؤ؛ و من هنا يمكن عد بعض التصرفات كالأنانية و الفظاظة و تغليب المصلحة الاقتصادية و فقدان التعاطف مع الآخرين على أنها عمليات تشييء, و يرى لوكاتش أنه لكي يكون التشيء مصطلحا اخلاقيا يجب أن يبنى الفعل على القصد الذاتي (ينظر: هونيث,٢٠١٢ : ٣١-٣٢-٣٦), و المقصود بذلك أن يكون تعامل الانسان مع الآخرين بوصفهم أشياء مقصودا بوعي و ليس نتيجة عرضية لتصرف ما, فهو يرى بأن الناس جميعهم في المجتمعات الرأسمالية يتم التعامل معهم بوصفهم ادوات.

و عندما يقوم المجتمع بتشييء الانسان فإنه يقوم بتشييء نفسه عن طريق الوعي الجسدي المتشيء, و الذي يعني نظرة الانسان إلى نفسه بوصفها شيئا يجيب أن يراه الآخرون و يقيمونه, و يتكون الوعي المتشيء من ثلاثة عوامل هي المراقبة الدائمة للجسد و المظهر, و الخجل من مظهر الجسد عندما لا ينسجم مع المعايير المقبولة مجتمعيا, فضلا عن محاولة السيطرة على المظهر, و بذلك يتم التعامل مع الجسد الأنثوي على أنه موجود لتلقي نظرة الذكور و مركزا لرغباتهم و لذلك تحاول المرأة أن تظهر بأفضل صورة ممكنة لتجنب الاحكام السلبية و بذلك تتعامل مع ذاتها وجسدها بوصفه موضوع و تقف عنده وقفة متفرج خارجي, إذ توجد المرأة كشيء لنفسها (ينظر: حسن,٢٠٢٥: ٣٣٦-٣٣٨), و يتفق بيار بورديو مع ما تقدم, إذ يرى أن الهيمنة الذكورية تجعل من النساء موضوعات رمزية و تجعلهن في حالة مستمرة من عدم الامان الجسدي أو التبعية الرمزية ، فهن موجودات من اجل نظرة الاخرين بوصفهن موضوعات جذابة و مضيافة و جاهزة و ينتظر منهن أن يكن أنثويات ؛ و لذلك تحاول النساء جاهدات لتحسين اجسادهن و كأن الجسد وجد فقط لأجل أن ينظر اليه(ينظر: مجموعة من الاكاديميين,٢٠١٣: ١١١)

اما الفيلسوفة الامريكية مارثا نوسباوم فترى بأن هناك سمات تسِم الانسان المتشيء و منها استخدام الانسان بوصفه أداة عديمة الهوية مفتقرة للاستقلال الذاتي و امكانية تقرير المصير, و عده مستضعفا قابلا للاستبدال و لا يملك القدرة على اداء مهامه, فضلا عن فقدانه الامن الشخصي و معاملته على أنه شيء عديم القيمة و حرمانه من الذاتية المختلفة عن الآخرين بمعنى عدم اخذ تجاربه المختلفة بنظر الاعتبار(ينظر: السامرائي,٢٠٢٢: ٦١)

و ترى الناقدة و الاديبة خالدة سعيد أن الأنثى في الثقافة و المجتمع العربي هي كائن بغيره لا بذاته اي أنها تعرف بالنسبة لغيرها فهي أنثى الرجل و تُعرَّف على أنها ام أو بنت أو اخت أو زوجة فلان, و بذلك فهي تُعرَّف بالنسبة للرجل فلا وجود مستقل لها, فمن غير الممكن لها في الأوضاع و الظروف التقليدية أن تعيش بذاتها و لذلك هي النموذج الامثل للاغتراب (ينظر: بركات, ٢٠٠٦: ١١٩-١٢٠)

و يعد الجسد الأنثوي ثيمة مطردة يحتفي بها الروائيون و الدارسون للتعبير عن الجنس الآخر, بوصفه مصدرا للرغبة, و يشكل التعامل معه حدا فاصلا بين الفن الرفيع و الفن المبتذل, و علامة فارقة للمرأة في ثقافة تميل إلى تسييد الثقافة الذكورية و تقديمها إلى الامام, مقابل تأخير المرأة و محو هويتها, و يعلل الناقد العراقي "سمير الخليل" اختزال المرأة في الجسد و اثارة الرغبة بكون جسد الرجل غير مثير لما فيه من خشونة و صلابة ما يجعل الاثارة من نصيب الأنثى ؛ و لذلك انصب الاهتمام على جسدها و اختزلت فيه و فقدت ذاتيتها و كيانها المستقل و المساوي للرجل فصارت النظرة اليها محصورة في زاويتين هما النظر إلى المرأة بوصفها مصدرا للرغبة و الفتنة و الغواية و جعلها بؤرة للنظر و الحديث, و النظر لها بوصفها ذاتا مرصودة للألم و العنف و كيانا يتلذذ بسيطرة الرجل و ساديته(ينظر: اللامي و اميري و معروف و رحمتي,٢٠٢٣: ٥٩٥) و مما سبق نتبين أن النظرة إلى الأنثى بوصفها جسدا و أداة للرغبة أو اثبات للقيم الاجتماعية عن طريق تغطيتها و طمس هويتها كلها طرق لتشييئها.

تشييء المرأة في رواية منازل اللوعة :

تذكر نوال السعداوي في كتابها الأنثى هي الأصل أن معظم علماء الأنثروبولوجيا و التاريخ يتفقون على أن للأنثى قيمتها الكبيرة انسانيا و اجتماعيا و فلسفية في المجتمعات البشرية البدائية و أن قيمتها تفوق قيمة الذكر فهم يرونها اصل الحياة و لذلك كانت المجتمعات البدائية مجتمعات امومية و ليست ابوية فالأم هي الأصل و إليها ينسب أولادها(ينظر: السعداوي, ١٩٧٤: ١٥٥)، و ترى سيمون دي بوفوار أن التاريخ البشري في مراحله البدائية لم يعرف ثورة توازي تغيير الانتساب إلى الأم بالانتساب إلى الاب, إذ تحولت الأم نتيجة إلى خادمة و مرضع و نمت سلطة الأب و رُسِّخت و صار هو الذي يمتلك الحقوق و يقوم بتوريثها لأبنائه من بعده, و هي ترى بأن صعود الأب كمركز للسلطة لم يأتِ بمحض الصدفة إذ لطالما امتلك الذكر القوة الجسدية التي تؤهله ليكون سيدا و إن كان قد تخلى عن ذلك لبعض الوقت, و إما الأنثى فلم يكن لها الخيار منذ البداية فهي لم تختر أن تعبد أو تستعبد؛ و لذلك فمكانتها لم تكن سوى المكانة التي أعطاها الرجل لها(ينظر: دي بوفوار, د.ت : ٤٤-٤٥) و أما الديانات فقد احترمت المرأة العفيفة و المطيعة, و ما بين العفة و التغطية و بين الكشف و الاظهار, تبقى المرأة تابعة و خاضعة لإرادة الرجل و سلطته, و تحولها هذه التبعية إلى شيء من الأشياء و جنسا آخرا بالنسبة إلى الرجل فتكون زوجة مطيعة و رفيقة و خادمة في الوقت ذاته (ينظر: دي بوفوار, د.ت: ٤٦-٤٧)

و مما تقدم فاختزال المرأة و الأنثى بجسدها، و جعلها مصدرا للحياة و الولادة, و تغطيتها أو كشفها دون إرادة واعية منها كل ذلك يؤدي إلى تشييئها، فهي في كل ذلك تعامل على أنها شيء أو أداة لا تملك تقرير مصيرها. و الرواية من أكثر الاشكال الادبية قدرة على كشف البنى العميقة للمجتمع و تمثيل المراحل التاريخية له بما فيها من تقلبات سياسية و اجتماعية و حتى اقتصادية و دينية فضلا عن تمثيل الأوضاع النفسية التي يمر بها افراد ذلك المجتمع, و تدور احداث الرواية في فترة الستينيات من تاريخ العراق, و تدور الاحداث حول الطفل فرج فهو المحور المحرك لأغلب احداث الرواية و هو الشخصية الرئيسة في الرواية . و من مظاهر تشييء المرأة في الرواية :

اولا: تشييء المرأة عن طريق نزع الإرادة و إلغاء الصوت الأنثوي:

مثال ذلك شخصية هادية والدة فرج و ابنة الشيخ وعد الله الكبيسي, و هي شخصية تمت تشيئتها؛ إذ لم يكن لها صوت خاص و لم تتحدث عن نفسها, إذ حتى معانتها مع زوجها و ذكرياتها معه و تعرضها للتعنيف و الذرب و الإهانة على يده, لا تأتي على لسانها, بل يسردها الراوي العليم متحدثا عن طفلها فرج و ما يذكره عن أبيه, فالصورة الأولى التي يذكرها الطفل عن والده هي رؤيته له و هو يحاول أن يقتل أمه, و تتبين الحالة النفسية للطفل و احساسه بضعفه و صغره, فضلا عن ضعف أمه و صغرها, عند وصفه لأبيه:

"دخل فرأى ما لن ينساه, ابوه بضخامته المعهودة كأنه سد يمنع الماء من التمرد, يحمل امه بيد واحدة من رقبتها, و ارتفع ثوبها حتى بأن فخذها- يعتقد أنها المرة الأولى و الاخيرة التي يرى هذه المنطقة من جسد امه -وجهها استحال حزنا و مرارة و لا تقوى على الصراخ, لكنها اشارت بعينيها اليه, استدار الاب فرأى فرج بلحظة صدمة لا تفسر, ترك الام تهبط على الارض دفعة واحدة فارتجت عظامها ثم بكت, لم ينبس الطفل فرج, سال ماؤه تحته و هو ساهم ينظر إلى امه"(السامرائي,٢٠٢٤: ١٠)

فصور الاب و ضخامته على أنه سد منيع يحبس الماء و يمنع تمرده, و الام التي حُملت بيد واحدة و تم خنقها دون مقاومة أو اعتراض منها, حتى أن الاب لم يكن ليتركها لولا أن اشارت بعينيها و هي تختنق إلى الطفل الناظر اليهم, فيرميها زوجها على الارض و كأنها شيء ن الأشياء التي لا يأسف على كسرها, و يسم الصمت هذه الشخصية فهي لا تتحدث و لا تعترض على سلوك زوجها بل هي معتادة و متكيفة مع تعنيف زوجها, إذ رغم حزنها و ألمها تتناسى كل شيء و تحضر العشاء, فتجتمع العائلة لتناول الطعام و يأكل الاب بشراهة بينما هي فتأكل شبه مرغمة و وجهها مظلم و حزين, فتخبر زوجها بأنها ستذهب صباحا إلى بيت أهلها فيتساءل عن السبب, تخبره بأنه كاد أن يقتلها هذه المرة, و يصف الطفل فرج أن هذه الحالة تتكرر بشكل دائم في بيتهم, إذ لطالما عنف والده والدته, و آذاها, و ما أن يفعل ذلك حتى تأخذه –أي فرج– و تذهب إلى بيت أهلها, فتبقى عندهم لفترة ثم يأتي زوجها امين فيسلم على ابيها و يتحدث معه قليلا و يدعوه الجد لتناول الغداء فيأكل الرجلان و بعد الانتهاء يأتي والدها فيخبرها أن تجهز نفسها و ولدها فتفعل ذلك و تعود مع زوجها إلى بيتهم, و تتكرر هذه الحالة مرارا حتى أن الطفل على الرغم من صغر سنه فهم أن هذه الحالة ليست طبيعية و صار يرى بأن ابوه يكرههم يقول:

:"بابا يكرهنا؟" امتلأ الفضاء صمتا موحشا, كررها, فقالت له :"لم تقول هذا ؟"

–ابي يضربك.

–لا, يحبنا.

– لكنه يتمنى موتك.

– ليس صحيحا. يعرفها, لا تطيل الكلام معه, صحيح أن الأسى يتفجر في قلبها لكنه يبقى زوجها, الذي يكد الليل مع النهار.(السامرائي, ٢٠٢٤: ١١)

و من جوابها لولدها يتضح أنها تعطي تبريرا لعنف زوجها معها و ذلك يعني بأنها ترى نفسها شيئا ايضا إذ تعطي سببا للعنف ضدها و هو أنه زوجها و أنه يكد و يشقى طوال اليوم في عمله, و عند موته تحزن عليه متناسية اذاه لها, فهي و يتحدث الراوي العليم عنها فيروي احساسها بأن كل شيء تغير بعد موت زوجها, لكنها لا تشعر بأنه مات حقا إلا عندما يرحل الجميع عن بيتها و تبقى وحيدة مع ابنها, فهي لا تتخيل موت زوجها الضخم مفتول العضلات و غيابه عن الدنيا, و "اللحظة التي شعرت فيها أن الموت احكم قبضته على البيت هي مساء اليوم السابع, عندما ذهبت ام امين إلى بيتها على أن تعود في اليوم التالي و اغلقت الباب فلم تر سوى فرج ينظر اليها بعينين دهشتين, ...تحتاج إلى أن تلوك صدمتها و تستوعب ما حصل"(السامرائي,٢٠٢٤: ١٤)

"فالزمن, إذن, مظهر نفسي لا مادي, و مجرد لا محسوس, و يتجسد الوعي به من خلال ما يتسلط عليه بتأثيره الخفي غير الظاهر, لا من خلال مظهره في حد ذاته . فهو وعي خفي, لكنه متسلط, و مجرد, لكنه يتمظهر في الاشياء المجسدة"(مرتاض, ١٩٩٨: ١٧٣)

و من مظاهر التشيؤ في شخصية هادية هي عدم اتخاذها لقرارات تخص حياتها, فضلا عن تقبلها لقرارات غيرها مما فرض عليها. فالمرأة من اجل أن تكون مقبولة اجتماعيا تقوم بكبت حقيقتها, و هذا الكبت يؤدي إلى قتل وجودها الحقيقي و إحلال وجود مزيف منها, و هذا الوجود المزيف هو الوجود القابل للتكيف و الاندماج في المجتمع(ينظر: السعداوي, ١٩٧٤: ٢٩٣–٢٩٤), و لذلك عند سؤال هادية :

"–صح كيف زوجوك ؟

–امين الله يرحمه ابن عمتي بدرية ايضا, و كان يتمتع بسيرة عاطرة, و البنت ماذا تريد؟ ستر, مادام هذا الشرط قد تحقق و هو من اقاربي فلا بأس عليّ, الزواج ناجح." (السامرائي, ٢٠٢٤: ٢٤)

فمن النص تتضح معالم التشيؤ فحتى السؤال هو كيف زوجوك و ليس كيف تزوجتي, و هذا يدل على أن زواجها لم يكن اختيارا واعيا حرا, و لم يصدر نتيجة علاقة وجدانية حيّة بين طرفين, فقد الغي التفرد و الخصوصية عن شخصية هادية و عوملت على أنها جسد يُعطى ليتم "ستره", و الغي صوتها و صارت اشبه بملحق بالرجل الذي تزوجها فزواجها اشبه بمعاملة بيع لشيء مقابل شيء آخر, فقد اعطي جسدها مقابلا للستر, و يتبين فقدانها لصوتها و فردانيتها من تبنيها خطاب مجتمعها و اسرتها فهي تتقبل الفقر و العنف و سوء المعاملة مقابل السيرة العطرة للزوج و تعتبر ذلك زواجا ناجحا, و لا تتوقف عدم قدرتها على اتخاذ قرار يخص حياتها, على زواجها فحسب, بل نجد دورها في منزل والديها هو التنظيف و الطبخ و حمل اعباء البيت و خدمة الضيوف الذي يأتون لزيارة والدها, و على الرغم من ذلك نجد امها تشير إلى وجود شخص راغب بالزواج بها, تقول :"و البنت بعدها قمر و هناك من يتمناها, هكذا تمتمت امها في اذن الشيخ, فقال و هو ساهم:"يفعل الله ما يشاء"(السامرائي,٢٠٢٤: ١٦) و مرة أخرى تختزل هادية بجسدها و شكلها, و تسلب إرادتها, فلأنها جميلة هناك من يرغب بها, من دون وضع أي اعتبار لرغبتها هي. و

ترى نوال السعداوي أن الجمال يستمد معناه القاصر من الرؤية الاجتماعية القاصرة للمرأة ، إذ يرى المجتمع أن الأنوثة هي السلبية و السذاجة و الضعف و الاستسلام و كلها صفات تتناسب مع الدور الذي خصصه المجتمع للمرأة بوصفها كائن خاضع للرجل و مطيع له(ينظر: السعداوي, ١٩٩٠: ١٣٤)

و يقرر والدها الشيخ وعد أن ابنها سيتعلم سيحفظ القرآن فتجيبه بـ(كما تشاء يا ابي), و عندما يذهب والدها لاستخدام هاتف دكان المختار ابو حبيب و يشعر بميله لبنته و رغبته في الزواج منها يبدأ التفكير بأنها و ولدها عبء يثقل كاهله, اما ابو حبيب فيستغل الفرصة و يحاول التقرب لأبيها و طفلها فيقبل الطفل و يعطيه دينارا الامر الذي يجعل الجد يستغرب و يسأل فيجيب بأنه ليس كثيرا عليه, و صحيح أن المختار ليس بخيلا كما يصف ذلك الراوي العليم لكنه اعطى الدينار محاولا التقرب منهم, اما والدها فقد تذكر محاولات ابو حبيب للزواج منها حتى قبل زواجها من ابن عمتها و الآن يرى والدها فيه فرصة للتخلص من العبء المتمثل بها و طفلها كما أنه يصف المختار بأنه:

" المختار بطوله الفارع و بشرته التي تميل نحو السمار اللامع...ابو حبيب ما زال في ريعان شبابه, دخل الأربعين من شهور, و هو على مستوى من الثقافة و إلمام بقضايا الأمة و تحولاتها ما لا يملكه احد في المعمورة كلها, و لولا صدمة مقتل الملك لكان الآن ذا منصب مرموق في بغداد. ..شرقت الأفكار بالعجوز حتى خيل اليه أن هادية حمل ثقيل عليه, تعوذ من الشيطان و فكر بالأجر و الثواب الذي سيناله بهذه الأرملة و ولدها اليتيم"(السامرائي,٢٠٢٤: ١٨)

في النص يكرر والد هادية بأنها عبء عليه و يفخم صفات ابو حبيب فيجعل من الشاب المثقف العليم بأمور الامة حتى أنه يصف شكله الخارجي و يرى فيه امكانية أن يكون كبيرا في الدولة لو لا احداث مقتل الملك و سقوط الملكية, اما ابنته فقد افرغها من انسانيتها و حولها محض عبء أو شيء يحمل مسؤوليته دون تفكير بعقلها أو إرادتها لكونها ارملة و معها طفل يتيم و هذا الامر هو الذي يجعله يعود فيستغفر مفكرا بالاجر الذي سيكسبه لعنايته بهما, فالمعرفة السياسية و الشباب يجعل من المختار فرصة و كون هادية ارملة مع طفل يجعل منها شيئا يمكن أن يعطى لمن يملك ثمنه اجتماعيا, و النص يصور المنظور الداخلي لوالد هادية الذي يضفي لسلطته بعدا اخلاقيا و دينيا عبر التبرير لفكرته الأولى و الاستغفار بعدها فيجعل من هادية الارملة و ابنها وسيلة لكسب الثواب و تزكية النفس و يعتمد النص اسلوب الجمل الطويلة المتتابعة التي تعكس تدفق الوعي و الانهماك في التفكير و التبرير الاخلاقي لتشييء الارملة وطفلها معا.

و على الرغم من أن الشيخ وعد كان يدفع لولده محمد ٧٠ دولارا فترة دراسته في بريطانيا, و استمر بإعطائه النقود حتى عند عودته إلى العراق و توظيفه طبيبا, بل و حتى عند زواجه و خروجه من العراق لتدرس زوجته الماجستير لكنه يكرر بأن هادية و ولدها هما العبء يقول :

"هادية و ولدها الحمل الجديد لم يكونا موجودين, يكفيه هو و زوجته القليل, تغيرت الاحوال, تضاعفت المصاريف"(السامرائي, ٢٠٢٤: ٥٥)

ترفض هادية الزواج من المختار مرار, اما هو فيصر على الزواج منها لأنه" يحبها " و ترى السعداوي أن اهم شروط الحب هو التكافؤ بين المحبين, فإذا كان احدهما انسانا ذا جسد و عقل و نفس فيجب أن يكون الآخر كذلك, إذ لا يمكن أن يحدث الحب بين شخص مكتمل العناصر و آخر ناقص, لأن الحب في هذه الحالة يتجرد عن اهم شروطه و هو التبادل العقلي و الجسدي و النفسي المتكافيء(ينظر: السعداوي, ١٩٩٠: ١٥٠– ١٥١)فالمختار يناقض نفسها فمن جهة يقول بأنه يحبها و من جهة اخرى يتجاهل رفضها له و يستنكره و الراوي يسرد عنه: " رفضته و هي بكر في عز شبابها و ألقها, و رفضته و هي ارملة تثقل كاهل ابيها, و قد تبدد شبابها في بيت سقاء لم يشبعها خبزا, يشعر بالإهانة, لم يتوقع أن العجوز الذي يمضي إلى حافة قبره سيعانده. فقال للملا: اي, و لم الخاتون لم توافق ؟ على الجاه لو الجمال لو الشباب, هي ارملة يا ملا"(السامرائي,٢٠٢٤: ٥٧)

و عندما يطلب الزواج منها, فيستشيرها والدها في طلبه فترفض مرة اخرى لكونها فقدت زوجها و والد طفلها منذ مدة قصيرة يغضب المختار و يثور قائلا: "و منذ متى و نحن نسمع كلام البنت و نأخذ رأيها يا ملا ؟ البنت جاهلة, لا تعرف, نخاف عليها من أولاد الحرام و من الفتنة"(السامرائي,٢٠٢٤: ٥٨)

و يتضح عدم التكافؤ في المعاملة و النظرة إلى هادية على أنها شيء في النصين المتقدمين في أنها لا تعامل على أنها ذات واعية بل بوصفها قيمة استعمالية بل و يتجاوز المختار ذلك بأن يعدد ما ينقصها من الصفات التي تجعل منها سلعة معطوبة و يتضح ذلك عند استنكاره لرفضها بأنها لا تملك جاها أو جمالا أو شبابا و بأنها ارملة تثقل كاهل والدها, فيعد نفسه خاسرا في صفقة الزواج إذ يرى في نفسه الصفات التي يرى بأنها تفتقدها و هذا يتفق مع كلام السعداوي فيما يتعلق بشروط الحب, فلا تكافؤ في علاقة المختار مع هادية. و هو يمعن في تشييئها فيلغي

صوتها و ينفي استقلاليتها و ينفي أهليتها بقوله بأنها جاهلة, و يفرض عليها وصايته و سلطته القسرية و يستبدل إرادتها الحرة برغبته المزعومة بحمايتها الامر الذي يتفق مع فكرة مارثا نوسباوم عن التشييء.

تأتي النظرة النمطية للمرأة من تخييل ذكوري يجعل من الأنثى انعكاسا لرغبة ذكورية من جانب واحد مبنية على تعظيم الأنا الذكوري و تقليل قيمة الآخر الأنثوي, و بذلك يتحول الجسد الأنثوي و كينونته الوجودية إلى جسد تخييلي تصوغه اللغة و الذاكرة الانسانية تعبيرا عن رغبات مسكوت عنها يعيد الخيال احياءها(ينظر: مجموعة من الاكاديميين العرب,٢٠١٣: ٥٧)

و عند وقوع الحدث المركزي في الرواية و هو مرض الطفل فرج مرضا اقترب فيه من الموت, يقوم الجد وعد الله والد هادية بأخذه إلى مستشفى في هيت و عندما يفقد الامل في تعافيه يذهب إلى المسجد فيصلي و يتضرع و ينذر أنه لو تعافى الطفل فسينذره للعلم الشرعي و أن لم يستطيع أن ينجح فيه فسيجعله خادما لأي شيخ و لو كان بعيدا, فيشفى الطفل و يعودون إلى منزلهم إلا أن الشيخ يبقى متخوفا من عدم الوفاء بالنذر لا سيما أنه شيخ كبير يقترب من نهاية أجله و هو يرى في تأخير الوفاء بالنذر معصية كبيرة أما هادية فلا يؤخذ رأيها بل يتم تجاهلها بل و تقترح والدتها استشارة اخيها محمد الذي لا يعرفون حتى إن كان في العراق أو في مكان آخر لقلة تواصله معهم. أن ما يميز شخصية هادية هو الصمت المستمر و فقدان الصوت في اغلب احداث الرواية حتى عندما يتعلق الامر بمصير ابنها :

"هادية صمتت و أوشكت على الصراخ, أنها اسيرة ألم جنوني يوشك أن يتفجر, تنظر إلى فرج و قد وصل إلى العاشرة و هو يبادلها النظرات بعينين حائرتين, تقوم من مكانها و تعانق فرج بطريقة حميمية و تذرف "(السامرائي, ٢٠٢٤: ٥٤)

فيأخذ الجد الطفل معه في سيارة عبد الخالق الذ يعمل مع المختار, و يموت بسكتة قلبة في الطريق و يبقى الطفل مع السائق الذي يسرق نقود الجد, و عندها يضيع الطفل في مدينة الفلوجة و بذلك تفقد هادية والدها بالموت و طفلها الذي ضاع و لا تعرف مكانه و تبقى وحيدة مع امها فتحاول أن تتواصل مع اخيها محمد لكنها لا تجده فقد سافر إلى لبنان لدراسة زوجته, و لأن المجتمع يحبس المرأة في صورة نمطية و يفرض تغطيتها و حبسها في المنزل حتى أنها لا تستطيع البحث عن طفلها الضائع وحدها, تضطر هادية للزواج من المختار الذي يستغل وحدتها و ضعفها و حاجتها عمن يساعدها لإيجاد ولدها, إلا أنها تجعل من ايجاد طفلها شرطا لتمام الزواج, فيوافق عليه و هذا يجعل من الزواج محض ابتزاز أو صفقة ايجاد الطفل مقابل الزواج الذي لم ترغم به منذ البداية, فحتى اخوها الدكتور محمد يرى بأن: "اخته التي خضعت لمبتز"(السامرائي,٢٠٢٤: ١٩٠) و يرى في المختار : "حرامي و مهرب و وغد و جبان, أنت استقويت على امرأة تائهة, و تحسب أن مالك الذي جمعته بالحرام سينفعك "(السامرائي, ٢٠٢٤: ١٩٠)

و المختار شخصية ذكورية و استغلالية بامتياز فعندما اخبره الملا عدنان أن هادية ترفضه لكونه متزوج قرر تطليق زوجته و كأنها شيء قابل للاستبدال واصفا ايها بأنها اشبه بالـ(شرطي) و الـ(المطرقة الكبيرة) التي تدق على رأسه و يصفها ايضا بأنها (نكدية) مدعا بأنه قد تعب منها و بأن والده زوجه إياها و هو صغير السن و يبرر رغبته بتركها قائلا :

"هل سأترك ام حبيب للكلاب؟ مثل السينما المصرية؟ لا, سأبقى أصرف عليها لآخر نفس في العمر"(السامرائي, ٢٠٢٤: ٥٩)

و يقول متحدثا مع الملا عدنان : "للسعادة ابواب, و للنساء طعم مختلف, و الذكي من يختار جيدا و يعرف دربه لا أن يبقى خائفا من زوجته, أنت ملا, و الشرع حلل اربعة, استعمل منح الشرح, العمر اقصر من أن يمضي مع امرأة واحدة يا ملا!" "(السامرائي, ٢٠٢٤: ١١٢)

فهذه الشخصية اي المختار يبالغ في تشييء المرأة مستخدما خطابا ذكوريا يجعل من الشرع وسيلة لتبرير ذكوريته و سلطته, و هو ينفي انسانية المرأة و يهبط بها إلى جعلها أداة لتحقيق المتعة فيجعل لها طعما و يجعل منها خيارا بين مجموعة من الخيارات القابلة للاستبدال و هذه صورة واضحة للتشييء, و هو لا يستحضر الدين و الشرع بوصفه موجه اخلاقي له بل وسيلة تعطيه الرخصة الشرعية لممارسة السلطوية و يبرر لنفسه ترك زوجته و استبدالها بأنه سيستمر بالانفاق عليها دون أن يعدها شريكة حياة له.

ثانيا: تشييء المرأة عن طريق ربطها بالجسد و الشرف و الموت:

ان الجسد هو تمثيل لما سلطه المجتمع عليه من مؤثرات و سلطات يصعب الانفكاك عنها , و لكي يكون الجسد مقبولا في المجتمع يجب ان يخضع لتلك الفروض التي تتطلب منه احترام قيم المجتمع و تنفيذ اوامره مما يصعب الخروج عن الصورة الاجتماعية المفروضة عليه(ينظر: كريم, ٢٠٢٥: ٨٩٠-٨٩١) , و بذلك يتحول الجسد من وجود مادي الى كيان اجتماعي و ثقافي حي, و يكوّن لذاته معنى عبر علاقاته الخاصة , فيغيب الجسد الطبيعي و يحل محله الجسد الثقافي الاجتماعي, الذي يعطي المجوعة عنوانا و يحافظ على افرادها و معاييرها(ينظر:اللامي, اميري, معروف, رحمتي,٢٠٢٥ :٥٩٤)

و بذلك يتحول جسد المرأة الى صورة اجتماعية ينبغي الحفاظ عليها و ان كان ذلك على حساب صحتها او حياتها , فعندما ينتقل الدكتور محمد الى مدينة سامراء و احدى القرى في اطرافها , و التي لا تحتوي إلا مستوصفا صغيرا مكون من غرفة واحدة فيها سرير و طاولة قديمة و مكان صغير لحفظ الادوية و على الرغم من سوء الامكانات المادية يصف محمد أن الاسوء هو طريقة تفكير الاهالي فيها يقول :

"إنهم يتركون المرأة تموت و لا يأتون بطبيب يكشف عليها و يرى علتها"(السامرائي, ٢٠٢٤: ٦٢)

فيفضلون ان تبقى المرأة تعاني او تموت على ترى طبيبا و يلبسون ذلك ثوبا دينيا , و يصف محمد ان الحرام عندهم مفهوم فضفاض و واسع يُحمَّل اشياء و تفسيرات لا حصر لها و يذكر حادثة وقعت و هو في تلك المنطقة , إذ اوشكت زوجة احد الفلاحين هناك و هو الفلاح عبد الله على الموت إثر شوكة خبيثة نبتت في قدمها مما جعلها تعاني نزيفا حادا و من ثم حدث انتفاخ في قدمها و بقيت تعاني اشد المعاناة الامر الذي دفع والدتها الى الذهاب الى المستوصف و طلب المساعدة من الدكتور محمد الذي تناول حقيبته و ذهب معها للمساعدة ليصدم برفض زوجها رفضا قاطعا للعلاج و منعه من الكشف عليها او رؤيتها, كل ذلك و هو يسمعها تئن و تتوجع بينما تتوسل امها للزوج ليقبل علاج زوجته لكنه يرفض مرارا و يقول:

"إلا الشرف, يتمالك محمد نفسه , يعده ان يأتي بشيخ القرية و يتحصل فتوى لكنه مصر, فيسأله محمد محاولا إفحامه :"أترضى أن تموت؟" –تموت على طهر و عفة , فتدخل الجنة ."(السامرائي, ٢٠٢٤: ٦٢)

مرة اخرى تصير المرأة شيئا ينبغي الحفاظ على قيمته المعنوية و هيبته الاجتماعية بوصفه مملوك تابع لغيره و هو الرجل, و الفلاح في النص يرتضي لزوجته ان تذهب لجنة الآخرة على ان يعالجها طبيب في الدنيا , و يعطي لتصرفه تبريرا دينيا و هو الحفاظ على العفة و الطهر و الشرف .

و يرى مصطفى حجازي ان الانسان المقهور الذي لا يملك من امره شيئا إلا الرضوخ للسلطة يعيش في عالم لا تكافؤ فيه بين السيد الذي يلمك السلطة و التابع الذي يخضع له للحد الذي يفقد فيه الانسان انسانيته فانعدام التكافؤ يؤدي الى التشيؤ, و الرجل المقهور يجعل من المرأة اساسا للعار , فيجعل منها عورة , و موضع ضعف, و مصدرا للعيب , و بسبب ما يسقطه عليها فأنه يربط شرفه و كرامته كلها فيها و بحياتها الجنسية(ينظر: حجازي, ٢٠٠٥: ٣٩–٤٧)

و هذا ما نجده في الرواية في حادثة مقتل والدة ترفة على يد خالها, فبعد ان كان والدها محبا للعرب و العروبة و متابعا لقضايا الامة , يسافر الى بغداد حيث اخواله يبقى عندهم لفترات متفاوتة ثم يعود الى اهله و يستمرون بارسال المجلات و الصحف التي تتعلق بقضايا العرب له و لا سيما ما يخص القضية الفلسطينية التي كان مهووسا فيها , يختفي الاب فجأة ما يجعل الناس تعطي تفسيرات مختلفة لاختفائه الصادم فهناك من قال بأنه ذهب الى القدس مع جيوش التحرير العربية و استشهد على ارضها, و هناك من قال بأنه التقى بامرأة كردية في بغداد فأحبها و لحقها الى مدينتها فتزوجا و عاشا بين الجبال , الامر الذي دفع بزوجته الى الجنون لشدة حبها له , فصارت تهيم على وجهها في الطرقات و الشوارع المجاورة و تذهب الى النهر كل صباح , يصف الراوي :

"لقد اعتادت القرى المنتشرة و البلدة المجاورة ان ترى مجنونا تائها, اما امرأة! استنكروا, و عندما يرونها عارية الرأس يعظونها , يوبخون اخوتها , يأمرونهم بالستر, لأنّ المرأة مهما كانت فهي عورة"(السامرائي, ٢٠٢٤: ١٢٧)

و بعد التوبيخ يقوم اخوتها بربطها بحبل داخل منزلهم لكنها تستمر بقضم الحبل حتى تحرر نفسها و تخرج و ما ان تخرج حتى تلتقي برجل يصاب بالذعر من منظرها, فقد كانت ثيابها ممزقة و صدرها مكشوفا فيحاول اعادتها لبيتها و منعها من الخروج فتصرخ و تقاوم , و يتجمع الناس فيحاولوا اعادتها لكنها تصير "كالوحش المحاصر" و عندها يصل اخوها فيثور و يغضب و يصرخ بالناس لتركها و الانفضاض من حولها, و عندما يرى مظهرها يلتقط حجرا ضخما من الارض و يقفز على رأسها بما اوتي من قوة فيتفجر دمها و تستسلم للصمت الابدي و يسلم اخوها نفسه الى شرطة الفلوجة غير انه لا يبقى هناك سوى بضعة اشهر إذ تم الافراج عنه و عدت القضية جريمة شرف .

وفي النص السابق يتضح ان تشييء المرأة لا يحمل بعدا واحدا فحسب بل ابعادا متعددة, فالتشييء في هذه الحادثة كان اجتماعيا عبر اللوم الذي القاه المجتمع على اهلها لكونها تتجول مكشفة الرأس و تخرج من المنزل فتجوب الطرقات , فمجال الاستنكار من المجتمع ليس كونها مجنونة بل كونها ظهرت و تمت رؤيتها, فمن المقبول اجتماعيا يرى رجال مجانين لكن ليس النساء فالمرأة و ان كانت مجنونة لا تعي ما تفعل تبقى عورة ,و تعرضت للتشييء في اسرتها التي رضخت لمعايير المجتمع فحبسوها و تم ربطها بالحبل لمنعها من الخروج ففرضت عليها الحماية عبر عزلها و اخفائها و ليس علاجها ,و التشييء الثقافي التي وصمها بأنها عورة و ان كانت فاقدة للأهلية العقلية , قانونيا تم تبرير قتلها على انه جريمة شرف

و تم تقبل ذلك فخرج الاخ بعد بضعة اشهر و كأنه لم يزهق روحا بريئة و من هنا تمت معاملة المرأة على انها مصدر تهديد لسمعة الرجل و هيبته و صورته الاجتماعية, و شيء تالف ينبغي اصلاحه أو التخلص منه و ذلك هو ما حدث.

ثالثا: تشييء المرأة عبر جعلها موضوعا للهيمنة الذكورية و الاستبدال و تثبيت الصورة النمطية:

تلعب صورة المرأة النموذجية دورا هاما في الادب و الحياة بشكل عام , فكل مؤلف يسقط على نتاجه احوال مجتمعه و امزجته و خيالاته حول المرأة المثالية , غير إن هذه الصورة تختلف من شخص لآخر على وفق المكانة التي يعطيها لنفسه من جهة التحرر و الارتقاء(ينظر: دي بوفوار, د.ت: ٧١)

و المرأة المثالية و المقبولة مجتمعيا –في الرواية– هي المرأة المطيعة التي لا تتعلم و لا تخرج من بيتها و لذلك عندما يكتب الدكتور محمد المقالات عن تحرير المرأة و تعليمها يستنكر الناس ذلك و يأتي الملا عدنان فيستوقف الشيخ وعد الله والد محمد و يتحدث معه بغضب حول ما يكتبه ابنه فقد ذهب محمد –بحسب ما يرى ملا عدنان و الاخرين– الى بلاد الكفر و الشر و فقد ما تعلمه في بلده من ادب و اخلاق و علوم شرعية, فيستنكر الملا مقال محمد و يقول:

"انظر يا شيخ ماذا يكتب؟ يقول في مقاله هذا ان الانسان عندنا مفطور على التخلف, و ان المرأة مظلومة , و يطالب بتعليمها , أهذه أخلاقنا يا شيخ ؟ الذي يحافظ على عرضه و شرفه من أي سوء صار متخلفا؟" فتابع الملا بضجر: "منذ أن خلقنا الله و المرأة لا تخرج إلا مرتين دون أهلها, الاولى الى بيت زوجها, و الثانية الى القبر, عداها محكومة في بيت ابيها ثم زوجها و لا تخرج إلا بإذن و محرم!"(السامرائي, ٢٠٢٤: ٤٩– ٥٠) فاستنكار المجتمع ممثلا بملا عدنان للتفكير النقدي لوضع المرأة في المجتمع يحدث لان الوعي الجمعي يعترض عمن يختلف معه في الفكر فتختل الموروثات و ذلك غير مقبول مجتمعيا , فالملا عدنان يستنكر متعجبا ان تكون المرأة مظلومة كما يرفض رفضا قاطعا تعليمها فهي شيء ينبغي ان يتم الاحتفاظ به في المنزل و إلا تحول الى اداة تزعزع صورة الرجل الاجتماعية , و يذك ان الله منذ خلق المرأة و هي لا تخرج من بيتها من دون اهلها الا مرتين احداهما الى بيت زوجها و الاخرى الى القبر و يضيف بأنها محكومة في بيت اهلها و هذه الطريقة من التفكير تجرد المرأة انسانيتها بوصفها ذاتا واعية فاعلة و تقدمها على أنها فاقدة للأهلية و الفهم و غير قادرة لاتخاذ القرارات التي تتعلق بحياتها مما يبرر وضعها تحت الوصاية الذكورية بشكل دائم , لا سيما و ان المتحدث رجل دين و برر كلامه بأن ذكر بأن الله منذ خلقهم جعل حياتهم تسير بهذه الطريقة و النظرة نفسها نجدها عند محمد على الرغم من دفاعه عن المرأة و حقوقها و تعليمها, فهو عندما يفكر في اسباب تأخره عن الزواج و الحب ينطلق من نظرة من الاعلى بوصفه من سلالة اعتادت الزواج المبكر و التعدد:

" فإذا شب الطفل منهم ضرب في الارض بحثا عن الرزق و كلما تقدم العمر أضاف زوجة ما دام الشرع قد حلل أربعة, و قد يتساقطن في الطريق موتاً أو فراقا فيزداد العدد, صحيح أن والده الشيخ وعد الله اكتفى بواحدة فلما ماتت تزوج نوال بنت مسعود الكبيسي فلما لم تنجب ابت ان يتزوج الثانية طلقها و تزوج الثالثة التي انجبت له الدكتور محمد و هادية و يعد مقلا لكنه في اعراف الناس في باقي المدن مزواجا, ثلاث نساء, و هو غير متجه للدنيا و زينتها, انما رجل يبتغي الآخرة(السامرائي, ٢٠٢٤: ٣٣)فالمرأة خاضعة لسلطة الرجل فكلما كبر اضاف واحد و كأنها شيء يشتريه , و يحاط ذلك بغطاء شرعي فالشرع قد حلل اربعة و هو يعد ابوه مقلا على الرغم من زواجه بثلاث نساء بل و يعده زاهدا في الدنيا مقبلا على الاخرة .كما ذكرنا سابقا, ان المجتمع عندما يختزل الانسان في الجسد او الصورة الاجتماعية او الانتاج و الوظيفة التي يؤديها فإنه يقوم بتشييئه و عندما يقوم المجتمع بتشييء الفرد , فالفرد يقوم بتشييء نفسه في سعيه ليكون مقبولا مجتمعيا, و لذلك تتبنى والدة محمد الخطاب الذكوري و تراه صوابا لأنها عاشت حياتها فيه, فصارت تختزل نفسها و النساء الاخريات في الطبخ و التنظيف فترى بأن فتيات القرية لم يعدن يرقن لابنها محمد فقد رأى الجميلات و الشقراوات المتعلمات, لكنها لا ترى في ذلك ميزة لهن تقول:و هذا ما يسميه مصطفى حجازي بالاستلاب العقائدي للمرأة و هو يعني تبنيها لقيم و قواعد سلوكية, و نظرتها الى العالم و الوجود نظرة تتوافق مع القهر الذي سلط عليها, و تسويغها له بوصفه جزء من طبيعة المرأة فتقاوم تحررها و تتمسك بالسلطة المفروضة عليها و تعممها على الاخرين عبر توريثها لاطفالها بزرع روح الخضوع في البنات و التسلط و الهيمنة في الذكور(ينظر: حجازي, ٢٠٠٥: ٣٢)و لذلك يخيب امها هي و زوجها عندما يعرفون بأن محمد قد سافر الى لبنان لكي تدرس زوجته الماجستير فيرون بأنها خطفته منهم فصار ينثر امواله في بيروت بدلا من تذكر والديه فيتحسرون على تربيتهم له و على الاموال التي انفقوها على تعليمه.

تشييء المرأة عبر تحويلها الى موضوع للرغبة:

و نجد ذلك في شخصية ترفة و التي تقدم ذكرها فقد اختفى والدها و شهدت مقتل امها على يد خالها و قاطعها الناس منذ صغر سنها و كأنها ورثت التشييء عن والدتها فصار الناس يعاملونها على انها مصدر للشؤم , لكن عمتها عاتكة تأخذها و تربيها في بيتها فتتغير حياتها فجأة و تضطر للتكيف مع حياتها الجديدة, فتكبر في بيت عمتها مع تجنب الناس لها, و عند ذهابها و عمتها الى مدينة الفلوجة و جلوسهما في مطعم الشيخ غانم صاحب مطعم كباب الفلوجة, يقع نظره عليها و هي لم تكد تتجاوز العشرين بينما هو في الخمسين من عمره, فيرى:

"وجها ممتلئا و جذابا, حتى انه لا يرى من الجسد المتوشح بالسواد الا قطعة من ضياء, اضطرب, عاد لطاولته فكر بحيلة يجتر لسانهما قبل ان تأتيا لدفع الحساب, فكر في وضعه سريعا, ما زال ارملا, صحيح انه لم يمض على وفاة زوجه الا شهر واحد, هذا لا يمنع ما دام في النهاية سيتزوج"(السامرائي, ٢٠٢٤: ١٢١) فالوصف في النص هو وصف جسدي يلغي المرأة بوصفها شخصا و يحولها الى مشهد و مركز للنظر, و لذلك يفكر بحيلة للفوز بها ، حتى ان الراوي يصفه بأنه يتصابى و ينسى عمره فلا يتقبل ان تناديه العمة عاتكة بالحاج خوفا من ان يظهر كبير العمر, و من ثم يحاول استدراجها للحديث فتخبره بأنهما غريبتين عن الفلوجة و انهما من الصقلاوية و قدمتا الى المدينة لمراجعة الطبيب, و عندما طلبت العمة عاتكة الطعام زاد عليه و طلب من عامله ان يخبرهما بأن هذه الزيادة ضيافة من الشيخ غانم لأنه يرى بأن مفردة الشيخ لها وقع اكبر و افضل من مفردة الحاج, فلما تبين قبول عاتكة لضيافته و حبها للنقود شرع بخطوته التالية , فسألهما ان كانت لديهما سيارة للوصول الى منزلهما فتخبره عاتكة بأنهما سيستأجران تاكسي فيرفض ذلك و يصر على ايصالهما و يخبرهما بأن له سيارة يعمل بها "تاكسي للحبايب" فيوصلهما الى المنزل و يستمر بالسؤال عن ترفة فيعرف بأنها يتيمة تربت في بيت عمتها عاتكة و ان الناس قاطعوهما تقريبا و السبب هو ان والدة عاتكة , فعندما رأت ابنتها الجميلة تكبر دون زواج لجأت الى السحر في بلاد بعيدة و منذ تلك اللحظة احجمت الناس عنهم و مات اهلها تباعا فلم يبقى معها سوى:" مع ابنة اخيها .ترفة الصالح , التي يتغنى بجمالها الناس و الكل يخشى الاقتراب منها "(السامرائي, ٢٠٢٤: ١٢٦)فمرة اخرى تكون ترفة مركزا للنظر من قبل الجميع فيتغنى الناس بجمالها من دون الاقتراب منها فقد حملت نتائج اعمال غيرها, و يطلب غانم يدها للزواج من خالها فيوافق و تتزوجه و يعيشا في مدينة الفلوجة لكنها لا تستطيع انجاب الاطفال فتقضي وقتها في العناية بالضيوف و الاعمال الخيرية و مساعدة الفقراء الى ان تلتقي بفرج الذي ضاع في الفلوجة فتتعلق به و تختطفه و تعود به الى منزل عمتها عاتكة, و عند عثور اهله عليه ترمي بنفسها في النهر و تموت هناك و يعود الطفل الى اهله و بذلك تختتم الرواية.

الخاتمة و النتائج :

انتهت الدراسة الى عدد من النتائج و منها :

١–تضمنت الرواية شخصيات نسائية مختلفة و متعددة تعرضت اغلبها للتشييء, و حمل التشييء ابعادا متعددة اجتماعية, ثقافية, عرفية, اسرية, و قانونية, وتم اعطاؤه تبريرا دينيا فبدلا من ان يتم القول بتشييء المرأة لأنها خاضعة للهيمنة الذكورية يتم التذرع بالشرع و الدين للتغطية و تسويغ هذه الهيمنة و شرعنتها.

٢– تم تشييء الشخصيات النسائية عبر اختزالهن بالجسد و الغاء الصوت و الارادة عنهن, و تحويل المرأة من ذات فاعلة الى ذات خاضعة لما حولها و لذلك لا نجد هذه الشخصيات تؤثر بشكل إرادي واع على احداث الرواية و يستثنى من ذلك شخصية ترفة التي خطفت الطفل فرج و ساهمت في توجيه الاحداث .

٣–ما يميز الشخصيات النسائية التي تعرضت للتشيء هو تقبلها للأحكام التي تفرض عليها فتتعامل مع نفسها بوصفها موضوع تماما كما تعاملها السلطة الذكورية , فنجد عدم التكافؤ بين الشخصيات الذكورية و الانثوية و عد الشخصيات النسائية عبئا نفسيا و اقتصاديا .

٤– الصورة النمطية للمرأة بوصفها موضعا للوصاية و التغطية و مجالا للهيمنة الذكورية, و جعل هذه الصورة هي الصورة المقبولة اجتماعيا مما يجعل الشخصيات النسائية تلغي نفسها في محاولة منها لتكون مقبولة .

٥–الخطاب الذكوري في الرواية الذي يجعل من المرأة شيئا قابلا للاستبدال و التغيير مستعينا بالشرع الذي يجعل منه رخصة لممارسة سلطويته و استبداده فلا تعامل الشخصية النسائية بوصفها شريكة للحياة بل مجرد عبء اقتصادي. و ربطها بالجسد فتتحول الى مركز للنظر, فضلا عن تحويلها الى صورة اجتماعية ينبغي الحفاظ عليها او التخلص منها فيما لو تسبب وجودها بأذى للصورة الاجتماعية للرجل حتى لو كانت فاقدة للأهلية العقلية.

المصادر و المراجع :

١-احمد عطا شنتة اللامي, جهانكير اميري, يحيى معروف, مريم رحمتي.تمثلات الجسد الانثوي في روايات عبد الرضا صالح محمد في ضوء النقد الثقافي. مجلة الجامعة العراقية, العدد ٦٣,ج٣.

٢-إريك فروم. كينونة الانسان . ترجمة محمد حبيب . ط١. دار الحوار .ابو ظبي, ٢٠١٣.

٣-أكسل هونيث. التشيؤ: دراسة في نظرية الاعتراف. ترجمة د.كمال بومنير. ط١. مؤسسة كنوز الحكمة, الجزائر,٢٠١٢.

٤-دواخة خولة: نقد العقل الحداثي و تشيؤ الانسان عند هربرت ماركوز. رسالة ماجستير.كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية, جامعة ٨ماي ١٩٤٥, قالمة, الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

٥-حليم بركات. الاغتراب في الثقافة العربية: متاهات الانسان بين الحلم و الواقع. ط١. مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت, ٢٠٠٦.

٦- خيرية سعدي كريم. الجسد الانثوي و صراع الذات مع السلطة الذكورية في رواية المحبوبات لعالية ممدوح: قراءة تأويلية في تجليات القمع و آليات التحرر. مجلة الجامعة العراقية, المجلد٧٤,العدد٨ ,٢٠٢٥.

٧-سيمون دي بوفوار. الجنس الآخر. ترجمة لجنة من اساتذة الجامعة.د ط .د ت.

٨-سيف عدنان حسن. الوعي الجسدي المتشيء كمنبئ بإسكات الذات لدى طالبات الجامعة. مجلة القادسية للعلوم الانسانية, المجلد ٢٨, العدد١,

٩-عبد الملك مرتاض. في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد. عالم المعرفة. المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب, الكويت.١٩٩٨.

١٠-عبد الوهاب المسيري ,فتحي التريكي. الحداثة و ما بعد الحداثة. دار الفكر.دمشق. ٢٠٠٣.

١١-مصطفى حجازي. التخلف الاجتماعي: مدخل الى سيكولوجية الانسان المقهور. ط٩. المركز الثقافي العربي. الدار البيضاء, ٢٠٠٥.

١٢-محمود السامرائي. رواية منازل اللوعة. دار عصير الكتب للنشر و التوزيع. القاهرة.٢٠٢٤.

١٣-مجموعة من الاكاديميين العرب.الفلسفة و النسوية في فضح ازدراء الحق الانثوي و نقضه و التمركز الذكوري و نقده.ط١.دار الامان. الرباط.

١٤-نوال السعداوي. الانثى هي الأصل. دار و مطابع المستقبل,١٩٧٤.

١٥-نوال السعداوي. المرأة و الجنس. ط٤. دار و مطابع المستقبل. الاسكندرية. ١٩٩٠ .

References:

1-Barakat, halim. Alienation in arab culture: The Labyrinths of human beings between dream and reality.1st ed. Center for arab unity studies. Beirut.2006.

2-Beauvoir, simone de.The second sex. Translated into Arabic by a committee of university professors.

3-Dawakha, khoula. Critique of modernist reason and the reification of the human being in Herbert Marcuse. Master's thesis. Faculty of human and social sciences, university of 8 may 1945, guelma, Democratic republic of

4-fromm, Eeich. The essence of man (to have or to be). Translated by mohammed habib. 1st ed. Dar al-hiwar, abu

5-Hajazi, mostafa. Social Backwardness: An introduction to the psychology of the oppressed human being.9th ed. Arab cultural center, Casablanca. 2005.

6- Hassan, saif adnan. Reified bodily consciousness as a predictor of self- silencing among female university students. Al-qadisiyah journal of human sciences, vol28, no1.2025.

7-Honneth, Axel. Reification: A study in the theory of Recognition. Translated by Dr. kamal boumenir. 1st ed. Konooz Al-hikma foundation. Algeria. 2012.

8-karim, khairiya saadi.The female body and the struggle of the self with patriarchal authority in the novel al – mahbubat by aliya mamdouh: an interpretive reading of the manifestations of oppression and mechanisims of liberation .iraqia university journal, vol.74,no.8.2025.

9-lammi, ahmed atta shanata ,j.amiri, y.maarouf, and m.rahmati. Representation of the female body in the novels of abdul-ridha saleh mohammed in the light of cultural criticisim. Iraqia journal. No.63 ,pt.3.

10-Masseri, Abdel wahab, and fathi Al-turky. Modernity and postmodernity. Dar al-fikr, Damascus, 2003.

11-mortad, abdelmalek. On the theory of novel: A study in narrative techniques. World of knowledge series. National council for culture, Arts and letters. Kuwait. 1998.

12-Sadawi, nawal. Women is the origin. Dar al-mustaqbal publishing and printing. 1974.

13-Sadawi, nawal. Women and sex.4th ed. Dar al-mustaqbal publishing and printing. Alexandria .1974.

14-samarrai, Mahmoud. Manazil al- law'aa .asir al-kotob for publishing and distribution .cairo.2024.

15-Various arab academics. Philosophy and feminisim in exposing and deconstructing the contempt for feminine rights and critiquing male centerdness. 1st ed. Dar al-aman . rabat. 2013.